﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾ [البقرة: 115]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد بيانِ اجتهاد الكافرين والملحدين لمنع ذكرِ الله في المساجد، ناسَبَ بيانُ موقفِ المسلمِ من ذكر الله، "فإنْ سَعَى ساعٍ في المَنعِ مِنْ ذكرِهِ تعالى، وفي خرابِ بيوتِه، فليس ذلك مانعاً من أداء العبادة في غيرها؛ لأنَّ المشرقَ والمغربَ، وما بينهما له تعالى"[1].

من ناحية أخرى أنّه "لَمَّا جاء بوعيدِهم ووعد المؤمنينَ، عَطَفَ على ذلك تسليةَ المؤمنينَ على خروجِهم مِنْ مكَّةَ وَنِكَايَةَ المشركينَ بفَسخِ ابتهاجِهم بخروجِ المؤمنينَ منها، وانفرادِهم هُم بمزيَّةِ جوارِ الكعبَةِ؛ فَبَيَّنَ أَنَّ الأرضَ كُلَّهَا لِلَّهِ تعالى، وأنَّها ما تَفاضلَتْ جهاتُها إلَّا بكونِها مَظنَّةً للتَّقَرُّبِ إليه تعالى، وتَذَكّرِ نعمِه وآياتِه العظيمَةِ، فإذا كانَتْ وِجهَةُ الإنسانِ نحو مَرضاةِ اللَّهِ تعالى، فأينما تَوَلَّى فقد صادفَ رِضَى اللَّهِ تعالى، وإذا كانَتْ وِجهَتُهُ الكفرَ والغرورَ والظُّلمَ فما يُغني عنه العِيَاذُ بالمَواضِعِ المُقدَّسةِ، بَل هو فيها دَخِيلٌ لا يَلبَثُ أنْ يُقلَعَ منها"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱلۡمَشۡرِقُ﴾: جذر الكلمة اللُّغويّ (شرق) "وشرقتِ الشمسُ تشرُقُ شروقاً وشَرقًا أيضًا، أي: طلعتْ وأَشْرقتْ، أي: أضاءَتْ"[3] أمّا الأصل اللُّغويّ لمادة (شرق) فله "أَصلٌ واحدٌ يدُلُّ على إضاءةٍ وفتحٍ"[4].

و﴿ٱلۡمَشۡرِقُ﴾ هو مَوضِعُ شروق الشَّمس، فهو اسم مَكان على وزن (مَفْعِل) "و﴿ٱلۡمَشۡرِقُ﴾، و﴿ٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ إذا قِيلا بالإفرَادِ فإشَارةٌ إلى ناحِيَتي الشَّرقِ والغَرب"[5] والمرادُ هنا النّاحية، أو الجهة، أو المكان.

(1) السّمين الحلبي، الدُّرُّ المَصُون: 2/80.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/682.
(3) الجَوهَرِي، الصّحاح: (شرق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شرق).
(5) الرّاغب، المفردات: (شرق).

2) ﴿وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾: اسم فيه معنى الظّرفيّة على وزن (مَفْعِل)، الجذر اللّغويّ له (غرب) "والغَربُ المَغرِبُ، والغُروب غَيبُوبَةُ الشّمس"[1] ومعنى الغرب "الذّهاب والتّنحّي، يُقَال: غربَ عَنَّا يغرُبُ غرْبًا، وقد أَغربتُه وغَرّبتُه إذا نَحَّيتهُ"[2] وقد ورد في الحديث عن زيدِ بنِ خالدٍ الجهنيِّ قالَ: «سمعتُ النّبيَّ ﷺ يأمرُ فيمنْ زنَى ولم يُحصنْ جلدَ مائةٍ، وتغريبَ عامٍ»[3] أي: نفيه وتنحّيته عن البلاد" والمَغرِبُ في الأَصل مَوضعُ الغُروبِ، ثُمَّ استعمِل في المصدرِ والزَّمانِ"[4] والمرادُ في الآية ناحيةُ الغَرب.

3) ﴿تُوَلُّواْ﴾: فعلٌ من الأفعال الخمسة، أصلُه (تتولوا)، وجذرُه اللّغويّ من (ولي)، وهو من الفعل (تَوَلّى)، فعلٌ مزيدٌ، زنة (تَفَعّلَ)، والمصدر (التَّولية) وفي معنى (تولّى) معانٍ عدّة متقاربة؛ كالإدبار والذّهاب والإعراض[5].

"ومعنَى التّوليةِ الاستقبالُ بالوجوهِ، وقيلَ: معناهَا الاستدبارُ منْ قولك: ولَيتُ عنْ فلانٍ إذا استدبرتهُ؛ فيكونُ التَّقديرُ فأَيُّ جهةٍ ولَيتم عنهَا، واستقبلتُم غيرهَا فثمَّ وجهُ اللَّهِ"[6] وبذلك يتحقق المعنى اللُّغويّ في الآية.

4) ﴿وَجۡهُ﴾: اسم ثلاثيّ مجرّد، زنة (فَعْل)، الجذر اللّغويّ للكلمة (وجه) و "الوَجهُ مُستَقبَلُ كلّ شيءٍ، والجِهَةُ: النَّحوُ، يُقال أخذتُ جهةَ كذا، أي: نَحوَهُ ... والوِجهَةُ: القِبلة وشبهُها في كلّ شيءٍ استقبلتَه، وأَخذتَ فيه"[7] "ولـمّا كانَ الوَجهُ أوّلَ ما يستقبِلُكَ، وأشرَفَ ما في ظاهِرِ البدنِ استُعمِلَ في مُستَقبلِ كلّ شيءٍ، وفي أشرَفِهِ ومَبدَئِهِ"[8].

5) ﴿وَٰسِعٌ﴾: اسمٌ على وزن فاعل، جذره اللّغويّ من (وسع)، ومنه "الوُسعُ جِدةُ الرَّجلِ، وقدرة ذات يده، تقول: أَنفِقْ على قَدْرِ وُسْعِك، أي: طاقتك"[9] والأصل

(1) الخليل، العين: (غرب).
(2) الأزهري، تهذيب اللّغة: (غرب).
(3) صحيح البُخَارِي: 6831.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (غرب).
(5) الزَّبيدي، تاج العروس: (ولى).
(6) أبو حيّان، البحر المحيط،: 1/577.
(7) الخليل، العين: (وجه).
(8) الرّاغب، المفردات: (وجه).
(9) الخليل، العين: (وسع).

اللّغويّ لهذا الجذر أنّها "كلمةٌ تدُلُّ علَى خلافِ الضّيقِ والعسرِ، يقالُ: وَسُع الشَّيءُ واتّسعَ، والوُسعُ الغنَى"[1]، والواسع من صفات اللّه تعالى "أي واسع علمه وقدرته ورحمته"[2] واستعملها في الآية مناسبة لذكر الجهات والتّوجّه.

6) ﴿عَلِيمٌ﴾: الجذر اللُّغويّ للكلمة (علم)، أمّا الأصل اللّغويّ لهذا الجذر فدلالته "على أَثَرٍ بالشّيءِ يتميّزُ بهِ عنْ غيرِهِ، منْ ذلك العلامةُ"[3] والعلم ضدُّ الجهل، وعَلِيمٌ صيغة مبالغة، زنة (فَعِيل) وهو من صفاته تعالى، مُشتقّ من العلم "وأصلُ العلم إدراكُ الشّيء على حقيقته، وهو معرفة الشّيء على ما هو عليه"[4] وما ورد في الآية هو على معنى المبالغة في العلم.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يخبر الحقّ تبارك وتعالى بأنّ المَشرِق والمَغرِب وما بينهما وجميع الجهات هي له تعالى، وأنّه المالكُ والمُتصرفُ فيهما، فأيُّ إنسانٍ أدركَتهُ الصّلاة، ولم يعرف اتّجاه قبلته فليتوجّه إلى أيّ اتّجاه، وسيجد اللّه عنده، وقد نزلَت الآية "في قوم من الصَّحابة سافروا فأصابهم الضَّباب، فتحرَّوا القِبلة، وصلّوا إلى أنحاءٍ مختلفةٍ، فلمَّا ذهب الضَّبابُ استبان أنَّهم لم يصيبوا"[5] ولمّا عادُوا من سفرِهم سألُوا الرّسولَ ﷺ فسكت، عندها نزل قولُه تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾[6] لأنّه تعالى أوسع وأكبر من أن تحيطَه الأماكن، وما هذه القِبلة إلّا رمز؛ لأنّ توجّه المؤمن يكون بقلبِه لا بجسدِه، واللّه عليمٌ بذلك مُطّلعٌ على قلوب العباد.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

نكتةُ تقديمِ الخبرِ:

إفادَةُ الاختصاصِ والقصرِ والتَّشويقِ

حرفُ اللّام في لفظ الجلالة أفادَ الاختصاص، والملك حقيقيّ؛ فإنَّ جميعَ الجِهاتِ مِلكُها وتدبيرُها للّه، كما يقال لفلان هذه الدار،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وسع).
(2) السَّمين، عُمدة الحفّاظ: 4/310.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).
(4) السَّمين، عُمدة الحفّاظ: 3/111.
(5) الوَاحدي، الوَجيزُ، ص: 126.
(6) النّيسَابُوري، أسباب نزول القرآن، ص: 37.

يعني بها أنّها له مِلكًا[1]، وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ للحصر والتَّشويقِ؛ فإنّ السَّامعَ ينتظرُ أن يعلمَ ما لله بعد معرفةِ جزاءِ الظَّالمين.

بلاغةُ الإيجازِ بالحذفِ:

عطفُ المتقابِلَين أفاد الشُّمولَ المُترتِّبَ عليه تقديرُ المحذوفِ

عَطفُ ﴿ٱلۡمَغۡرِبُ﴾ على ﴿ٱلۡمَشۡرِقُ﴾ من قبيل عطفِ المقابلِ على مقابلِه فهو للتَّقابلِ الحقيقيِّ، ويُفيدُ الإحاطةَ والشُّمول، أي: ما بَيْنهما، وعليه فهناك محذوفٌ مُقدَّرٌ أي: (ولله المشرق والمغرب وما بينهما) فيكون على حذفِ معطوف[2].

توجيه المتشابِه اللفظيّ:

الاتِّساقُ الدّلاليُّ وأثرُه في اختيارِ الصيغةِ الأنسبِ

يأتي لفظُ ﴿ٱلۡمَشۡرِقُ﴾ و﴿ٱلۡمَغۡرِبُ﴾ في القرآن الكريم مُفردًا وتثنيةً وجمعًا، أمَّا الإفراد فكهذه الآيةُ، ونكتةُ ذلك الشُّمولُ والعموم، وأمَّا التَّثنية فكقولِه تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧﴾ [الرحمن: 17]، إشارةً إلى مَشرِق الصَّيفِ والشِّتاءِ ومَغربِهما، وهو ما يتناسب مع سياق سورة الرَّحمن، إذ كثُر فيها التَّثنيةُ، وأمَّا الجمعُ فيكون "اعتباراً باختلاف المَغارب والمَطالع كلّ يوم"[3] كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠﴾ [المعارج: 40]، وهو ما يتناسبُ مع سياق القدرة، فأتَتْ كلُّ صيغةٍ بما يُناسبُها من حيث السِّياق.

دلالة تقديم المَشرِق على المَغرِب:

البدايةُ الزَّمانيَّةُ الكونيَّةُ والشَّرعيَّةُ ملحوظٌ فيها تقديمُ الشُّروقِ

قُدِّمَ ذكرُ ﴿ٱلۡمَشۡرِقُ﴾ على ﴿ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ باعتبارِ البدايةِ الزَّمانيَّة؛ فالشُّروقُ هو المبدأُ، والغروبُ هو النِّهايةُ، ومواقيتُ الصَّلاةِ تبدأُ مع حركة ما قبل الشُّروقِ، والشُّروقُ بدايةُ الحركةِ والنَّشاطِ لعموم المخلوقات، والغروبُ بدايةُ الظُّلمةِ والعَتَمة؛ فلذلك كلِّه بدأت الآيةُ كسائر آيات القرآن بالشُّروقِ قبلَ الغُرُوبِ.

(1) ابن جرير، جَامع البيان: 2/526.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/577.
(3) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/298.

سِرُّ استعمالِ ﴿فَأَيْنَمَا﴾ الظَّرفيّة اسم شرطٍ:

التَّناسُبُ السِّياقي بين الأداةِ النَّحويَّةِ والألفاظِ المختارة

لاستعمال ﴿فَأَيْنَمَا﴾ الدّالّة على الظّرفيّة هنا بمعنى الشّرط دلالته البيانيَّة؛ فالسّياق من أوّله إلى آخره يقتضي الظَّرفيَّة؛ كذكر المَشرِق والمَغرِب، والتَّولية، وثمّ، ووجه الله، فهذه كلُّها دالّة على الظَّرفيّة؛ فناسبَ التَّعبيرُ بـ(أين) الدَّالّة على معنى (إنْ) الشَّرطيَّة، وذكر (ما) للإبهام والعُموم، وهو المناسبُ للسِّياقِ.

سرُّ التَّعبير بالوجه:

بيانُ تحقيق الغايةِ الّتي لأجلِها يتوجَّه المُصلُّون إلى القِبلةِ

معنى ﴿فَثَمَّ﴾ في قولِه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ الظَّرفُ البعيدُ؛ فهي "في مَوضعِ نصبٍ على الظَّرفِ"[1]، أي: فهناك وجهُ اللهِ، والفاء واقعةٌ في جوابِ الشَّرط، والمعنى "فثمَّ وجهُهُ الَّذي وجّهكم إليه؛ لأنّ المَشرِقَ والمَغرِبَ له بوجهيهمَا"[2]، فالمرادُ بوجه الله تعالى: قِبلة الله[3]، وسِرُّ التَّعبيرِ بالوَجْه دون القِبلةِ لبيانِ أنَّ من يُصلِّي لله إنَّما يريدُ وجهَه ورضاه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 272]، فالعِبرةُ بالنيَّةِ والإرادةِ، وتحقيقِ الغاياتِ، وهي مُتحقّقةٌ في التَّوجُّه للمَشرِقِ والمَغرِبِ؛ فمَنْ توجَّه للمَشرِقِ والمَغرِبِ مُمتثلًا أمرَ الله فقد حقَّقَ المطلوب.

فائدةُ كثرة المُؤكِّدات:

توالي المؤكِّدات في جملة واحدة للتَّنبيه على أهمِّيَّتِها

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ جملةٌ فريدةٌ من نوعها على هذا التركيب، ولا سيّما في اقتران صفتي الواسع والعليم، وهي جملة مؤكّدة بإنّ، وبإيقاع الظّاهر موقع المُضمَر؛ فإنّه ذَكرَ اسم الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ والقياسُ إعادةُ ذكره مُضمَرًا.

---

(1) القُرطُبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/325.
(2) الرّازي، مفاتيحُ الغيب: 4/23.
(3) ابن جرير، جَامع البَيان: 2/528.

نكتةُ إظهارِ ما حقُّه الإضمارِ:

جريانُ الجملةِ مَجرَى الأمثالِ السَّائِرة تفخيمًا وتعظيمًا

أُظهر لفظُ الجلالةِ وحقُّه الإضمارِ، لمزيد تفخيمٍ وتعظيم؛ فإنَّ الإخبارَ عن الاسم الظَّاهر ليس كالإخبار عن ضميرِه، ولتجريَ هذه الجملةُ مَجرَى الأمثالِ السَّائرَةِ؛ فإنَّ قولَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يجري على اللِّسانِ كما يجري الدِّهان مثلًا سائرًا.

بلاغةُ الفصلِ:

تعليلُ الجملةِ للسَّابقِ بصفاتِ الله تعالى

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ عمَّا سبقَ للتَّعليلِ؛ فإنَّ من يتوجَّه إلى الله تعالى بالصَّلاةِ والعبادةِ والذِّكرِ في أيِّ اتّجاهٍ؛ فإنَّ الله وسِعَ كلَّ شيءٍ علمًا.

بلاغةُ ترتيب الصِّفات في الفاصِلَةِ:

تنزيل الصِّفةِ من الصِّفةِ منزلةَ العلَّةِ من المعلولِ

أَخَذتْ صفةُ اللّه تعالى ﴿عَلِيمٌ﴾ من صفته ﴿وَٰسِعٌ﴾ موقعَ التَّعليلِ، فقد وسِعَ كلَّ شيءٍ؛ لأنَّه عليمٌ بكلِّ شَيءٍ، "فقولُه: ﴿وَٰسِعٌ﴾ تذييلٌ لمدلولِ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾، والمرادُ سَعةُ ملكِه، أَو سَعةُ تيسيرِه، والمقصودُ عظمةُ اللّهِ"[1]؛ فالسَّعة قرينةُ الجهات، وليسَتِ العبادةُ محدودةً بمكان دون آخر "لأنّ اللّه واسعٌ موجودٌ في كلِّ مكانٍ في هذا الكونِ، وفي كلِّ مكانٍ خارج هذا الكون"[2]، وأمّا قولُه ﴿عَلِيمٌ﴾ وهي صيغة مبالغة؛ فمعناه أنّه "عليمٌ بمنْ يتوجّهُ لقصدِ مرضاتِه"[3] فإنّ التَّوجّه نحو ناحية ما ليس مقصودًا لذاته إذا لم يستحضرِ المُصلّي عظمةَ اللّه، وهو يعلمُ بما في المَشرِق والمَغرب، وهو عَليمٌ "بالمتوجّهِ إليه أينمَا كان، أَيْ: فاعبدِ اللّه حيثما كنتَ، وتوجّهْ إليه أينما حللتَ"[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/683.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 1/542.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/683.
(4) محمّد رشيد رضا، تفسير المَنار: 1/385.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»